

الترجمة وتحليل الخطاب و مغامرة المعنى

حلومة التحاني

جامعة الجزائر2

لطالما كان همّ الترجمة الأول إيصال المعنى لمستقبلها ، وهي بهذا الشكل تعدّ عملية ذهنية معقّدة يحاول فيها المترجم إعادة كتابة النصّ بطريقة تجعله مماثلاً للأصل إذ يجب أن ينطبع في ذهن المتلقي المعنى ذاته. ولعلّ مصطلح إعادة الكتابة يظلّ " فعّالا في التأكيد على مطابقة الترجمة لأنشطة أخرى تنخرط في تفسير النصّ وبالتالي مسؤولة عن استمرارها على قيد البقاء مثل كتابة الدواوين في الشعر" 1

إنّ طبيعة النصّ المترجم مختلفة إلى حد بعيد إذا ما قورنت بالنصّ الأصل ، فقد يصعب على القارئ التنبؤ بهذا النصّ فيما إن كان مترجما أم لا ،لولا بعض القرائن الدالة على ذلك نحو ألفاظ مثل :تأليف فلان (الاسم الإفرنجي)،ترجمة فلان،أو كتابة عنوان الكتاب الأصل ، و هي في الحقيقة بداية لتحليل الخطاب.

ولكن،هل من حاجة للمترجم أن يطّلع على مقاربات تحليل الخطاب و نظرياته؟

تحليل الخطاب فرع من فروع اللسانيات يعني بعملية إنتاج القول وهو مصطلح جديد ظهر مع هاريس زيلغ *Harris Zellig* في بداية الخمسينيات؛ مهمته السّعي إلى تفكيك شفرات الخطابات بأنواعها: الأدبية (:شعرا ونثرا) والإشهارية والسياسية والنفسية والفنّية (رسم،رقص...)، ومن هنا ربّما كان من الصّعب الوقوف على تعريف محدّد ومخصوص لمفهوم الخطاب (*Discours*) ، وقد بات من الواجب أن نواكب الرّاهن العلمي الذي يشهد

قفزات ليست بالهينة في هذا الميدان، خاصة بعد تبين فاعلية مناهجه وأدواتها الإجرائية في تحليل النصوص والخطابات.

ومهما يكن من أمر فإن عملية الترجمة تبدأ أولاً بفعل القراءة؛ و تفرز هذه العملية بدورها ما نسميه تحليلاً أو تفكيكا لبنى هذا (النص/الخطاب) الذي اختاره المترجم عينة لعمله، وتختلف هذه القراءات باختلاف المترجمين تماماً باختلافها باختلاف القراء الأحاديّ اللسان.

إلا أن تحليل مثل هذه الخطابات بالنسبة للمترجمين تقع على تخوم ثقافتين وتخوم لسانين، وهذا " التحول البيلساني القائم على معنى خطاب ما، هو تحليل واستخلاص لعلاقات هذا الخطاب الدلالية ، فهذا المسعى التأويلي المتمثل في تحليل الخطاب هو فعل رفيع لا ينحصر في مقابلة بسيطة بين نسقين لسانيين وإثما يستوجب ملكة فهم كبيرة مضمومة إلى القدرة على التلعب باللغة ، وهذا ما يجعل النصّية (علم النصّ) التي يقوم موضوعها على دراسة الخطاب توضح عملية الترجمة أحسن مما تفعله اللسانيات العامة التقليدية" 2

لذلك يخطئ من يقول أن المترجم لا يحتاج إلى نظريات تقيم بتحليل الخطاب، وربما كان هذا الحكم نتيجة استهانة الكثير بمهنية تحليل الخطاب، وحصص موضوعات الترجمة في النصوص البرغماتية التي تشكل جلّ سوق العمل بخلاف النصوص الأدبية الفنية التي تحمل طاقة هائلة من المعاني بعضها في متناول اليد والبعض الآخر مضمّر يحتاج إلى تفكيك شفراته (Code)، وقد يشعر المترجم بجمالية هذا النصّ وشعريته لكنّه يعجز على نقل هذا الكمّ الجماليّ بالصورة نفسها التي يلمسها في النصّ الأصل، ذلك أن العمل الفني حسب إيكو *Umberto ECO* " رسالة *Message* يكتنفها الغموض أصلاً أي بمعنى آخر يمكن أن نفهم العمل الأدبي على أنّه كثافة من المدلولات المتواجدة في

دال واحد، خاصة وأن الحساسيات الجديدة من الكتابات المعاصرة جعلت من هذا الغموض غاية وقيمة لا بد من تجسيدها"3

إنّ الغموض الذي يكتنف بعض الأعمال الأدبية يدفع بالمرجم إلى خوض غمار المعنى ويدخل مغامرة قد يخرج منها منتصرا أو مهزوما ، إما أن يجعل النصّ الذي بين يديه يحظى بالقيمة نفسها التي عليها النصّ الأصل وإما أن يقدم عملا مغلوط المفاهيم، وما" يحدث عندما يفهم شخص ما نصا من النصّ هو أنّه ينشئ عالما وقد تعلق ميزات هذا الفهم أو الإدراك بالخبرات الفردية الخاصة بالمرجم وهي حقيقة ينبغي أن تمثّل جزءا من الواقع، ذلك لأنّ الأشخاص على اختلافهم إنّما يبنون تأويلات مختلفة لنفس النصّ"4

إن الإشكال الحقيقي في هذا المجال - خاصة في عالمنا الثالث- يكمن في الفهم الضبابي لفهوم تحليل الخطاب ومقارباته إذ هو في تطوّر متسارع ومستمر وعكس مفهوم الترجمة الذي لا يختلف اثنان في مفهومها يجد المترجم نفسه أمام نظريات لتحليل الخطاب متنوعة مع اختلاف مفاهيمها الأساسية وطرق تحليل الخطاب "التي صاغتها المنظورات الفكرية واللسنية الكبرى المؤسسة له منذ توزيعية ز. هاريس ومرورا بتجارب واتجاهات التحليل المتعدّدة التي تبلورت في إطار المدرسة الفرنسية لتحليل الخطاب و من ضمنها اتجاه التحليل الآلي للخطاب وعلى هامشها أو في مقابلها مدرسة باريس لتحليل المرد والخطاب، التحليل النصّي لدى رولان بارت 5.

لذلك هل يكفي أن نعتد نظرية واحدة أثناء الترجمة حتى نُجيدها؟ كما يقول نيومارك *P. NEWMARK*، ذلك أن الترجمة تعتمد أساسا على اللغة المصدر واللغة الهدف ومنها على ثقافتين مختلفتين وأخيرا على الكاتب والمترجم 6 في آن معا أي مرسل ومتلق، ولكل وجهة نظر يمكن الاعتماد عليها،" فالتعرف على المعنى جزء من السّيرة التي تقود إليه و جزء من سيرة تشكّله

أيضاً. إنه ليس كماً تاماً، بل هو سياقات مضمرة لا يتحدّد عددها في النصّ ، بل يتحقّق ذلك من خلال استحضار الثقافات التي يتمّ تحيين النصّ من خلالها⁷ ومن خلال معرفة توجّه الكاتب ومواقفه إزاء ايديولوجية ما، ومن خلال استعداد المتلقي لتقبّل ما يترجم له.

ولعلّ كاترينا رايس *Katerina REISS* أحسنت عندما اعتمدت على علم اللغة النصّي في نظريتها أنواع التّصوص التي لا مناص لها من مناهج تحليل الخطاب، وعليه فعلى طالب الترجمة أو محترفها أن يدرك معاني البنى الطّحية والعميقة ومفهومي الانسجام *cohésion* والائساق *cohérence* وما ينطوي عنه مفهوم الملفوظ والفواعل... إلخ

ولما كان التّواصل أهمّ ما يهتمّ به تحليل الخطاب فقد صبّت جميع النظريات جهودها على هذا المعنى (معنى التّواصل) ، وهو الشيء الذي يهتمّ المترجم في المقام الأوّل، فقد ربط إميل بنفنت *Emile BENVENISTE* العناصر اللغوية بالعوامل الخارجيّة أثناء عملية التّلفظ، وعدّ العناصر التالية (الأنا والأنثى [الضمائر] والمكان [ظروف المكان] والزمان [ظروف الزمان]) كلاً واحداً لا يتجزأ من أجل اكتمال دلالة المعنى وتحقيق عملية التّواصل، في حين تعتمد مقاربة رومان ياكبسون *Romane jakobson* والموسومة بالتبليغية على العناصر الستة المشهورة في خطاطته وهي المرسل والمرسل إليه والرسالة والسياق والشفرة ووسيلة الاتّصال، كما يرى بعض اللسانيين مثل غوفمان *Erving Goffman* أن الأعراف والأخلاق التي تتوافق عليها المجتمعات تحكم في الرسائل بين المتحدّثين نحو الرسائل المتبادلة بين الرئيس والمرؤوس في العمل أو بين الرجل والمرأة أو بين رجل الدين وغيره، فلكلّ مقام مقال كما تقول العرب، وهي نظرة جون أوستين *Jonh AUSTIN* مؤسس

التداولية التي دَوّن خطوطها العريضة في كتابه ' كيف نصنع الأشياء بالكلمات'
how to do things with words، والذي يعتبر النشاط اللغوي جزءاً
من التعامل الاجتماعي.

في حين يعطي التداولي مانغينو **MAINGUENEAU** للقراءة أهمية
بالغة" باعتبارها المفتاح المؤدي إلى الفهم مع اعترافه ضمناً بالصعوبات التي تكمن
في الخطاب، " عموماً كل التواصل المكتوب يعتبر هشاً لأن المتلقي لا يشارك
في المقام التلفظي للمتكلم"، وهذا الافتقار في الخطاب المكتوب عُوض
بخصائص الكتابة إذ أن الكاتب يراعي ذلك قصداً متوخياً من القارئ تعاوناً
لمعاضدة علامات الترقيم والكتابة وكذا الحذف الموجود في أجزاء الصفحة
المطبوعة أو المكتوبة " فعندما لا يُحدث متكلم ما، تصويتنا للمفوظ ما في الحاضر،
أو أن هذا المفوظ لا يُتداول وسط دورة ضيقة حميمة فإن هذا المفوظ لا بد
وأن يحتوي على كل ما هو ضروري لفك تشفيره، نحن بحاجة لترقيم دقيق
وشفاف عندما لا يشارك القارئ عالم المؤلف "، وهكذا نجد أن كل ما وقعت
عليه العين قراءةً يعتبر أساسياً للقارئ وذلك دعماً لعملية الاستكشاف ومحاصرة
النصوص نسقاً وسباقاً، فأول شيء يلاحظ في الخطاب الأدبي هو قراءته من قبل
المؤولين، وهذا الفعل هو الإجراء التداولي الأساسي عند (مانغينو) ما
يفترض وجود قارئ متعاون ونموذجي **8**.

وهكذا فإن أكثر ما يواجه المترجمين هذه الحيرة في تناول النصوص، فإن
جنح أحدهم إلى المقاربة التلفظية كان الآخر أميل للتداولية وعليه يكون تأويلهما
لنص الواحد مختلفاً ومتبايناً نسبياً، ممّا ينتج جدلاً في ترجمة المعنى، فقد لا يشعر
القارئ الأجنبي عن اللهجة الجزائرية بالضيم يدخل على المعنى إذا قرأ ملفوظاً
كالآتي " **بـوـه** عليك في مشهد من رواية ما، إنه في كل الأحوال يحتاج
إلى تفسير، فنحن حتى لا نجد لها مقابلاً في اللغة العربية الفصيحة فهل هي مثلاً

:أنت تضحكني أم ويحك أم لا تكن غيبًا...، و في نقلها إلى الفرنسية هل هي مثلاً
و حسب السياق:

1-Détrompe toi (*expression qui se dit quand
quelqu'un est dans l'erreur ou a tort*)

2-Ne sois pas ridicule/ stupide!

3-Tu déconnes ou quoi! (*déconner : raconter ou
faire des bêtises*)

4- Qu'est-ce que tu racontes là?

5-Tu me fais rire ou quoi?

6-T'as perdu les pédales (*se dit pour une personne
ayant perdu ses repères ou qu'il est dans la
confusion*)......

والحقيقة أننا لا نستطيع إيجاد مقابلات لها ولا يمكن أن نترجم إلا
بصفتها اللفظية وحسب اقتضاء المعنى، فترجمة كلمة بكلمة " مُدانة لأنّ كلمات
اللغتين لا تتوفران على الدلالة الواحدة في كلا اللسانين ، و عليه يجب أن تتأسس
معادلات الترجمة على السياق لا الكلمات"9، فكلمة **بوه** (بتمديد الباء) من
منطوق النساء لا الرجال في اللهجة الجزائرية العاصمية، ولا يمكن للقارئ غير
المحيط بالثقافة الجزائرية أن يتفطن إلى النقص الذي قد يعتري المعنى إذا نطق بها
الرجال، و منه أيضا أنها تختلف باختلاف المقام الذي تستعمل فيه.

إن إشكالية فهم المعنى الفهم الصحيح وفهم آلية إنتاجه دفعت بهذا
الجال إلى التطوّر ممّا يسمح للمترجم أن يؤدي مهمته على أحسن وجه، فربما
سمحت معرفة نوع النص إلى تأويله التأويل الصحيح؛ يقول التداولي مانغينو " '
فبمجرد أن يعرف المتلقي النوع الذي ينتمي إليه النص يستطيع أن يؤوله

ويتصرف بإزائه تصرفاً مناسباً، لكن في حالة عدم تعرّفه على نوع النصّ يمكن أن يؤدي ذلك إلى شال في عملية الفهم، ففي مقابل النصّ القانوني مثلاً يظهر النصّ الأدبيّ باعتباره نصّاً يفترض طقساً خاصّاً وشروطاً لنجاح عملية تأويله، إنّ نصّاً أدبيّاً لا يستقبل استقبالا ملائماً إذا لم ننظر إليه على أنّه أدبيّ، وفي النصّ الأدبيّ بالذات تبرز بقوة مسألة من المسائل التي عالجتها التداولية وأولتها عناية خاصة وهي مسألة المضمّر "10 *l'implicite* .

وعموماً فإنّ تحليل الخطاب في كثير من الدّراسات اللغوية إمّا أن ينجح إلى تحليل البنية أو إلى تحليل الوظيفة (استعمال اللغة)، ويمكن أن يشتمل تحليل الخطاب التحليلين معاً، "فعندما يركّز تحليل الخطاب على البنية فإنّ المهمة تكمن في تحديد الألفاظ وتحليلها واكتشاف الانتظام أو الأنماط اللغوية في هذه الألفاظ، والتوصل إلى أحكام شأن القواعدية أو صحة البنية، ولكن عندما يركّز تحليل الخطاب على الوظيفة فإنّ المهمة تكمن في تحديد الألفاظ وتحليلها على أساس أنّها أفعال أنجزها أناس لأغراض محدّدة، لغرض تفسير المعاني الاجتماعية والثقافية وتبرير تفسيرات التحليل؛ إنّ دمج هذه الوظائف هو الذي يجعل الخطاب واسعاً جداً"11، فالمعاني التي يمكن أن تصل الآخرين تتباين بتباين الأوضاع التي يكون عليها المرسل والمتلقي، لاحظ مثلاً إلى أي مدى يمكن أن يتباين المعنى من تركيب إلى آخر:

1- افتح الباب *open the door*

2- أمرك بفتح الباب *I command you to open the door*

3- من فضلك افتح الباب *Please open the door*

تتفق الأمثلة الثلاث في أن هناك طلبا بإنجاز فعل فتح الباب وهو المعنى التّوارة الذي إن أنجز سقطت جميع المعاني المحتملة التي تدور في فلكه ،ويمكننا تمثيل ذلك في الترسيمات التالية:

المثال (1)

المرسل ضباي (يُحتمل أن يكون شخصية نافذة أو شخصية عادية)



الرسالة (Message) إفتح الباب



مطلق خالي الذهن يمكنه تنفيذ الطلب أو رفضه

المثال (2)

المرسل ذو سلطة أو يقصد الإهانة



الرسالة (Message) آمرك بفتح الباب



يُحتمل أن يكون المتلقي متمردا عاصيا للأمر

المثال (3)

المرسل مؤدب أو لا يملك سلطة الأمر



الرسالة (Message) من فضلك إفتح الباب



المتلقي خالي الذهن يمكنه تلبية الطلب أو رفضه

هذا حال التحليل على مستوى اللغة الواحدة، لكن الأمر قد يصبح أكثر صعوبة عندما يضطر المترجم إلى رحلة البحث عن المعنى المناسب والذي يلقي بظلاله تماماً كما هو في اللغة الأصل، لاحظ مثلاً مفردة *belive* في خطاب الرئيس الأمريكي بيل كلينتون *Bill CLINTON* كيف ترجمت إلى العربية:
"Northern Ireland, I believe, is becoming more like the scab. There are very difficult things. " 12

لقد اختار المترجم أن يؤولها كالتالي: "وأيرلندا الشمالية كما أرى حالتها أقرب إلى الجراح ذات القشور فهي تنطوي على أمور عسيرة" 13 ، في حين ترجم اللفظة ذاتها الواردة في النص التالي:

"And I believe that the last few months demonstrate the futility of force or terrorism as an ultimate solution; that's what I believe." 14

بما يلي: "وأنا أعتقد بأن الأشهر القليلة الماضية بينت عدم جدوى القوة والإرهاب، هذا ما أؤمن به" 15 مستندا في المثالين " إلى سياق المفردة والجملة اللتين ظهرتتا ضمن سياق حجاجي وسردي، فحركية النص من بدايته إلى نهايته تحمل علامات على انتماء هذا النص إلى سياق معين على النشاط الغرضي " 16 الذي يهدف إليه المرسل.

"هذا يعني أن التأويل ليس تعرفا على معنى، بل هو استنفار لطاقة ديناميكية لا يمكن للنص أن يكشف عنها إلا من خلال أفق يسائله، أي يعيد بناء قصده أو مقاصده وفق ما تتطلبه حاجات الفهم عنده" **17**، وهنا تكمن مغامرة البحث عن المعنى، فقد يقدم القاموس إمكانات كثيرة يمكن الاستناد إليها أثناء عملية الترجمة، لكن أي تلك الملفوظات يمكن الاطمئنان إليه كمقابل للمعنى في اللغة المُرْجَع، فقد كان بإمكان المترجم أن يكرر اللفظ ذاته 'أعتقد' كمقابل للفظ *belive* لكنه أثر لفظ 'أؤمن'، وشتان ما بين مفهومي الاعتقاد والإيمان ففي حين يكون الملفوظ الأول مرتبطا بالقبول والاقتناع من خلال أسباب عقلية ملموسة والتي ينتج على أساسها الإيمان يكون هذا الأخير محض تصديق، فهو "الثقة المطلقة بشخص أو بقول مضمون الصدق" **18** قد لا يحتاج معه إلى القرائن العقلية، وهكذا يكون الاعتقاد سابقا وأساسا للإيمان، وقد انتبه المترجم إلى سياق الجملة فكان الاعتقاد منسوبا للأشهر القليلة الماضية بينما كان الإيمان متعلقا بعدم جدوى العنف والإرهاب و هي القناعة التي يريد الرئيس الأمريكي أن يثبها في روع المتلقي (الرأي العام الدولي)، أما ترجمته للفظ ذاته بأرى فقد كان محقا فيه ولم يتعد فيه صاحبه عن معنى الاعتقاد إذ هي رأى الاعتقادية وهي من أفعال القلوب والتي تفيد في الخبر الرجحان واليقين.

وصفة القول أنه لا مناص لمتعلمي الترجمة أو لمحترفيها من ممارسة تحليل الخطاب أثناء العملية الترجمية، ذلك أن إدراك المعنى من أساسيات الترجمة الصحيحة، " فالترجمة لا تقوم على إعادة التعبير عن العلامات وإنما عن المفاهيم والأفكار وهذه العملية هي الشرط الوحيد لتجاوز الهوة الفاصلة بين اللغات." **19**

الهوامش:

- 1- شهنواز طاهر جورتشاغلر: استخدامات النصوص الموازية في البحوث الترجمة، ضمن كتاب ' جوهر الترجمة عبر الحدود الثقافية، تحرير ثيوهرمانز، ترجمة بيومي قنديل، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص 90-91
- 2- أحمد الفوحي: الترجمة و تحليل الخطاب، ضمن مجلة المعارج، السنة 22، العدد 152، 1433هـ الموافق لـ 2012م، ص ص 95-96
- 3- وحيد بن بوعزيز: حدود التأويل -قراءة في مشروع أميرتو إيكو النقدي، الدار العربية للعلوم ناشرون/منشورات اختلاف، بيروت/الجزائر، ط1، 2008، ص 23
- 4- كريستوف هورشمان : هل اللسانيات ضرورية في الترجمة؟، ترجمة إيمان بقطاش، ضمن مجلة مقالات في النقد و الترجمة، دون طبعة، دون تاريخ، ص 50
- 5- محمد البكري: مرافعة عن بحثه الموسم خطاب الحركات الاستقلالية المغربية، ضمن مجلة مقالات في النقد و الترجمة، ص ص 176-177
- 6- أنظر بيتر نيومارك: اتجاهات في الترجمة، ترجمة محمود إسماعيل صيني، دار المريح للنشر، المملكة العربية السعودية، 1986، ص 121
- 7- حوار مع سعيد بنكراد: السميائيات و رحلة البحث الأبدى عن المعنى، ضمن مجلة البلاغة و تحليل الخطاب، العدد 3، 2013، ص 135
- 8- سعد بولنوار: التداولية منهج لساني واستراتيجية لتحليل الخطاب، الموقع: <http://uqu.edu.sa/page/ar/151670>
- 9- أحمد الفوحي: الترجمة و تحليل الخطاب ص 98

